﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ ٢٤﴾

[الحجر: 24]

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الاحْتِجاجُ على التّوحيدِ بكمالِ العِلْمِ بعدَ كمالِ القُدرة

لَمّا احتجَّ اللّه تعالى على كمالِ قُدرتِه في قولِه: ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ﴾ وأفادَ الكثرةَ التي تفوتُ الحصْرَ أتْبَعَهُ بقولِه: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ﴾ لبيانِ كمالِ علْمِه؛ للإيذانِ بأنَّه لا يحصي الكثرةَ التي تفوتُ الحصْرَ إلّا اللّهُ تعالى، وبأنَّه لا يَخْفى عَلَى اللّه شَيْءٌ مِنْ أحْوالِهم، وبأنَّ ما يدلُّ على قُدرتِه دليلٌ على علْمِه؛ لأنّ القادرَ على كلِّ شيءٍ لا بدَّ له من علْمِه بما يصنعُه[1].

وأيضًا لَمّا ذَكَرَ الإحْياءَ والإماتَةَ وكانَ الإحْياءُ يُذَكِّرُ بالأحْياءِ، وكانَتِ الإماتَةُ تُذَكِّرُ بالأمواتِ الماضينَ تَخَلَّصَ مِنَ الاسْتِدْلالِ بالإحْياءِ والإماتَةِ عَلَى عِظَمِ القُدْرَةِ إلى الاسْتِدْلالِ بِلازِمِ ذلك على عِظَمِ عِلْمِ اللّه وهو عِلْمُهُ بِالأُمَمِ البائِدَةِ وعِلْمُهُ بالأُمَمِ الحاضِرَةِ[2].

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ﴾: أَصْلُ (قدم): يَدُلُّ على سَبْقٍ ورَعْفٍ (أي: تقدُّم)[3]، مع قوّةٍ وحدّةٍ[4]. فالقَدَمُ: ما يَطَأُ عليه الإنسانُ[5]، وجمعُه أقْدامٌ، وبه اعتُبِرَ التَّقدّمُ والتَّأخُّرُ[6]، ويُقالُ: قَدَّمَ فلانٌ يقدِّمُ،

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/37، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/209، والبقاعي، نظم الدرر: 11/40.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/40.
(3) الخليل، العين: (قدم).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (قدم).
(5) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن عباد، المحيط في اللغة: (قدم).
(6) الراغب، المفردات: (قدم).

وتَقدَّم يَتقدَّمُ، وأقدَمَ يُقْدِمُ، واستَقْدَمَ يَستقدمُ، بِمَعْنى واحِد. وقولُهُ تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ﴾، يَعْني مَنْ يَتَقَدَّمُ مِنَ النّاسِ على صاحِبِهِ في الـمَوْتِ ومَنْ يتأخرُ مِنْهُم فيهِ، وأصلُ ذلك كلّه مِنَ القَدَم[1]. والقُدْمَةُ والقَدَمُ: السّابقةُ في الأمر[2]، والقَدَم أيضًا: كلُّ ما قدَّمتَ مِن خيرٍ[3]، يُقال: لِفُلانٍ قَدَمُ صِدْقٍ، أي: شَيءٌ مُتَقَدِّمٌ مِنْ أثَرٍ حَسَنٍ[4] أو سابقةِ فضيلةٍ[5]. والمقصودُ بـ ﴿ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ﴾ في الآية: الَّذينَ تَقَدَّموا الأحياءَ إلى الـمَوْتِ، أو إلى الآخِرَة، فالتَّقَدُّمُ فيهِ بمَعْنَى الـمُضيِّ[6].

2) ﴿ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ﴾: التّأخيرُ: فِعلُ الشّيءِ آخِرًا بعد أجلِهِ، والآخِرُ ضِدُّ الأوّلِ، والتّأخيرُ: التأجيلُ، وضِدُّهُ: التّقديمُ والتّعجيلُ، يُقالُ: أخّر الشيء يُؤَخِّرُهُ: أجّلهُ[7]، والتّأخيرُ: تفويتُ الشيءِ وتضييعُهُ، يُقالُ: أخّر سفرهُ: فوّتهُ ولم يأتِ بِهِ في وقتِه. والـمُؤَخّرُ خِلافُ الـمُقدّم، والتّأخيرُ أيضًا: جعلُ الشّيءِ خلف غيرِهِ[8]، وأصلُ التّأخُّر: تخلُّفُ الشّيءِ في المكانِ أوِ الزّمانِ عن مُقارِنِهِ[9]، يُقالُ: تأخّر عن عملِهِ؛ أي: تخلّف عنهُ، والِاستِئخارُ مُبالغة في التّأخُّرِ، مثل: استِحباب، فالسّينُ والتّاءُ لِلمُبالغة[10]. والآخِرةُ: الدّارُ التي بعد الدُّنيا[11]. و﴿ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ﴾ في الآية: الَّذينَ تَأخَّروا، وهم الباقونَ بَعْدَ زَوالِ غَيرِهِم إلى أجَلٍ يأتي[12].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يكشَفُ اللّه تعالى في الآية عن بعض عِلْمِه، وأنَّه سُبحانه قد عَلِم ما كان من خَلْقِه قبل

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (قدم).
(2) ابن عباد، المحيط في اللغة: (قدم).
(3) الأزهري، تهذيب اللغة: (قدم).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قدم).
(5) الراغب، المفردات: (قدم).
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/40.
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن سيده، المحكم: (أخر).
(8) ابن منظور، لسان العرب: (أخر).
(9) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (أخر)، ويُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/201.
(10) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/201.
(11) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة: (أخر).
(12) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/40.

أن يُخلَقوا، السّابقين منهم واللّاحقين، فهذا بيانُ كمالِ عِلْمِه بعد الاحْتِجاج على كمالِ قُدرتِه، فإنَّ ما يدلُّ على كمالِ قُدرتِه دليلٌ على كمالِ عِلْمِه[1].

اللـه تعالى عالمٌ بجميع المَخلوقاتِ المُتقدِّمةِ والمتأخِّرةِ إلى يوم القيامةِ

۞ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

فائدةُ تتابُعِ التَّأكيدِ في قولِه ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا﴾:

أفادَ مَجيءِ الكلامِ مؤكَّدًا باللّامِ الموطِّئة للقسَمِ و(قَدْ) تنزيلَ المُخاطَبين منزلةَ المُنكِرين؛ لأنْ يكونَ علمُ اللّه شاملًا كاملًا بسبب أعمالِهم القبيحةِ وإشراكِهم باللّه تعالى، وللإشعارِ بأنَّهم سيُحاسَبون على ما علِمَ اللّه من أعمالِهم وأحوالِهم بعدَ الحشْرِ يومَ القيامةِ.

قَبيحُ أعمالِ الكافرين وإشراكُهم به تعالى جعَلَهم في مقامِ المُنكِرين لإحاطةِ علمِه

دَلالةُ الخبَرِ في قولِه ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا﴾:

فائدةُ الخبرِ في الآية بيانُ إحاطةِ علمِه تعالى بكلِّ أحوالِ الخلْقِ ممّن تقدّمَ، وإحاطةِ علمِه بما سيقعُ وما يكونُ من أحوالِ المُستأخِرين كذلك، ولازمُ الفائدةِ بيانُ أنَّ علمَه تعالى ذاتيٌّ، فعلمُه سُبحانه عِلْمُ إحاطةٍ وانكشافٍ شاملٍ كاملٍ، فهو سُبحانه لا يخفَى عليه شيءٌ في الأرضِ ولا في السّماء، وفي الخبرِ وعيدٌ وتَهْديدٌ لمن يخالفُ أمرَ اللّه تعالى، بأنَّه إن تقدّمَ إلى المعصيّةِ جوزيَ بالعقاب، وإعلامٌ ووعْدٌ بأنَّ من تقدَّمَ إلى الطّاعة جوزيَ بالثّواب[2].

الوعيدُ لمن يُخالفُ أمرَ اللهِ، والوعدُ لمن يُطيعُ الله، لأنّه تعالى بهم عليمٌ

فائدةُ التَّكرارِ في ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا﴾:

في تَكرارِ قولِه تعالى ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا﴾ ما لا يَخفَى منَ الدّلالةِ على كمالِ تأكيدِ علمِه بما مضى وما تأخّرَ، لرفعِ أيِّ شكٍّ عن كمالِ علمِ اللّه تعالى وشُموله[3]، كما أنَّ العلمَ بالمُستأخِرين وممّن لم يولَد بعدُ والعلمَ بما سيكونُ من أحوالِهم أكثرُ بيانًا ووضوحًا بكمالِ إحاطة

علمُ اللـه بمَن لم يولَدْ وبما سيكونُ من أحوالِهم أظهرُ حُجَّةً على كمالِ إحاطته تعالى

---

(1) ابن عجيبة، البحر المديد: 3/83، والخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 7/229.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/86، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/140.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/73.

علْمِه سُبحانه وعظيمِ قدْرِه، ولهذا كرّره مع ﴿ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ زيادةً في التّقرير.

سِرُّ مجيء الفعْلِ ﴿عَلِمْنَا﴾ ماضيًا:

علمُ الله مُتعلِّقٌ بما مضَى وبما سيقعُ وبما هو واقعٌ

أفادَ مَجيء الفعْلِ بِصيغةِ الماضي أنَّ علْمَ اللّه أزليٌّ قديمٌ، متعلِّقٌ بما وقعَ وانقضى، وبما سيقعُ ولم يأتِ بعدُ، وأنَّه حاصلٌ ثابتٌ.

فائدةُ التَّعريف بـ(ال) في الآية:

علْمُ اللّه بالمُستقْدِمين والمُستأخِرين يفيدُ علْمَه بالمُتقدِّمين والمُسارِعين في الطّاعات

لمّا أفادتْ (ال) الموصولةُ استغراقَ الأفراد تناولَ اللَّفظُ عمومَ علْمِه تعالى بكلِّ مُستقدمٍ ومُستأخِرٍ على جميع وجوهه، ليدخلَ فيه عمومُ علْمِه بكلِّ من تقدَّم ولادةً وموتًا إلى زمنِ آدمَ، ومن تأخرَ ممّن يكونُ منهم ويولَدُ إلى يوم القيامةِ، ويدخل فيه أيضًا عمومُ علْمِه بمن تقدّمَ منهم ومن تأخّرَ في الإسلامِ وأنواعِ الطّاعاتِ والخَيراتِ، وما يقعُ في القتال وغيرِه، فاللّفظُ على معنى العمومِ ولا يخصُّ حالةً دونَ حالةٍ، وهو المناسبُ للمقام[1].

دَلالةُ السّين والتّاء في الآية:

لا ينفعُ اجْتِهادُ الخلْقِ جميعًا في تأخيرِ المَوتِ عن أحدٍ، ولا اجْتِهادُهم في تقديمِه

أفادتِ السّينُ والتّاء المبالغةَ في تأكيد التّقدّمِ والتّأخّرِ، فكأنَّ من قضى اللّه بموتِهم يُسارعون في التّقدّمِ وإنْ كانوا مُجتهدين بالعلاجِ في تأخيره، ومن قضى اللّه تأخيرَه حتى يكونوا كأنَّهم يُسابقون إلى ذلك وإن عالجوا الموتَ بأيِّ شكلٍ منَ الأشكالِ فإنَّه يتأخّرُ، ولا يستطيعُ الخلْقُ جميعًا تقديمَه بأيّ حالٍ[2].

بديعُ المُقابلةِ في الآية الكريمة:

إحاطةُ علْمِ اللّه الشّاملِ الكاملِ لجميع الخلائقِ

ورد اللَّفظانِ على سبيلِ المُقابلةِ؛ لتفيدَ المقابلةُ إحاطةَ علْمِ اللّه الشّاملِ الكاملِ لِجميعِ الخلائقِ، ولكيلا يُتوهَّم أنَّ من فاتَ أو من يتأخَّرُ لا يعلَمُ اللّه به وبأحواله.

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/89، والماتريدي، تأويلات أهل السنة: 6/433، وابن عطية، المحرر الوجيز: 3/358، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/37.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 11/41، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/40.

مُناسبةُ حذْفِ الجارِّ والمجرورِ في الآية:

إفادةُ العُمومِ مع رعايةِ الفاصلةِ

لمّا ذكرَ مُتعلّقَ اسْمِ الفاعل ﴿مِنكُمۡ﴾ في قولِه تعالى: ﴿عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ﴾ حذَفَه في ما يُقابِلُه لدلالتِه عليه من جهة؛ على سبيل الإيجازِ، وللدّلالةِ على العمومِ من جهة ثانية، أي: المُستأخرين منكم ومن غيرِكم، ولرعاية الفاصلةِ من جهة ثالثةٍ.